١٢٧

مكتبتى ٦٢

العيد الحقيقى

وقصص أخرى

تأليف: فريد محمد معوض

رسوم: محمود عزب

دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

معوض ، فريد محمد
العيد الحقيقى وقصص أخرى / تأليف فريد محمد معوض
رسوم محمود عزب — ط ١ — القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٦.
٣٦ ص ؛ ٢٤ سم — (مكتبتى ؛ ٦٢)
تدمك : ٩ — ٦٩٩٩ — ٠٢ — ٩٧٧
١ — القصص العربية.
٢ — قصص الأطفال
(أ) عزب ، محمود (رسام)
(ب) العنوان

ديوى ٨١٣,٠٢

رقم الإيداع ٢١٢٤٦/ ٢٠٠٦ ٧/٢٠٠٦/٣٤

تصميم الغلاف
محمد أبو طالب

تنفيذ المتن والغلاف
بالمركز الالكترونى
دار المعارف

الناشر: دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج. م. ع.
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

١

العيد الحقيقى

ثلاثُ قصصٍ عَنِ العيدِ الحَقِيقى:-

كُنَّا قَدْ صَلَّيناَ صلاةَ العيدِ، وتناولْنَا فُطُورنَا، وتبادلْنَا الزِّيارَاتِ فِي العِيدِ معَ الأهلِ والجيرانِ. كانَ كلُّ شئٍ رائعًا فِى القريَةِ.. الأطفالُ، الأراجِيحُ والباعَةُ، الشَّوارِعُ مُكْتظَّة بالنَّاسِ، وكانَ صوتُ إمامِ المسجدِ فِي أثناءِ خُطبة العيدِ، مَازالَ يُدَوِّى فِي أُذُنِى، فأسمعُ «تحابُّوا.. توادُّوا».

وَقَالَ لِي أَبِى:

- هَلْ تأْتِى مَعِى ؟

- إِلَى أينَ يَا أَبِى؟

إِلَى أَرْضنا، حقلنَا، نعيِّدُ عَلى زرعِنَا.

ضحِكْتُ وقلتُ، هلْ تمزَحُ يَا أَبِى. لاَ أحدَ يذهبُ اليومَ إِلَى الحقُولِ! ثُمَّ كيفَ «نُعيِّدُ» عَلَى الزَّرعِ؟!

- هَيَّا... سوفَ تَرَى.

خرجْنَا.. كُنَّـا نُصافحُ كلَّ مَنْ يُقابِلنَا فِى الطُّرقِ، تركنَـا القريَةَ خلفنَـا بِأَرَاجِيحِهَـا وأطفالِهَا، وبَدَتِ الحقـولُ خَضْـراء، وكانَ المدَى مُبْتسـماً، لَمْ يَكُنْ هناكَ أَحَد، لَقدْ خَلَتِ الحقولُ مِنَ النَّاس ومنَ الأبقارِ والجواميسِ والماعزِ والحميرِ...

لا شـئَ سِـوَى الخُضرةِ والأَشـجارِ، والعصافيرِ، أشارَ أَبِى إِلى الأرضِ بطولِ ذِرَاعه وقالَ:

- انظُرْ إِلَى جمـالِ الأرضِ... للهدوءِ ولصنعِ اللّه العظيمِ.

وحينمَا أدركناَ أرضنَا قَفزْتُ فرحاً، وبدَت ابتسامةٌ جميلةٌ عَلى وجْهِ أَبِى وهو يقولُ:

«انظُـر.. الأرضُ هِـىَ الأُخـرى تبتسِـمُ.. العيدُ الحقِيقىُّ أَنْ تَرَى ثمرةَ عملكَ المُتْقن.

قلـتُ لأبِى بعدَ هـذِه الكلمةِ، «ولذلـكَ كانَ عيدُ الفطرِ لِمَنْ أحسنَ الصِّيَام».

ربتَ أَبِى عَلَى كتفِي وقالَ: بالطَّبعِ يَا بُنى.

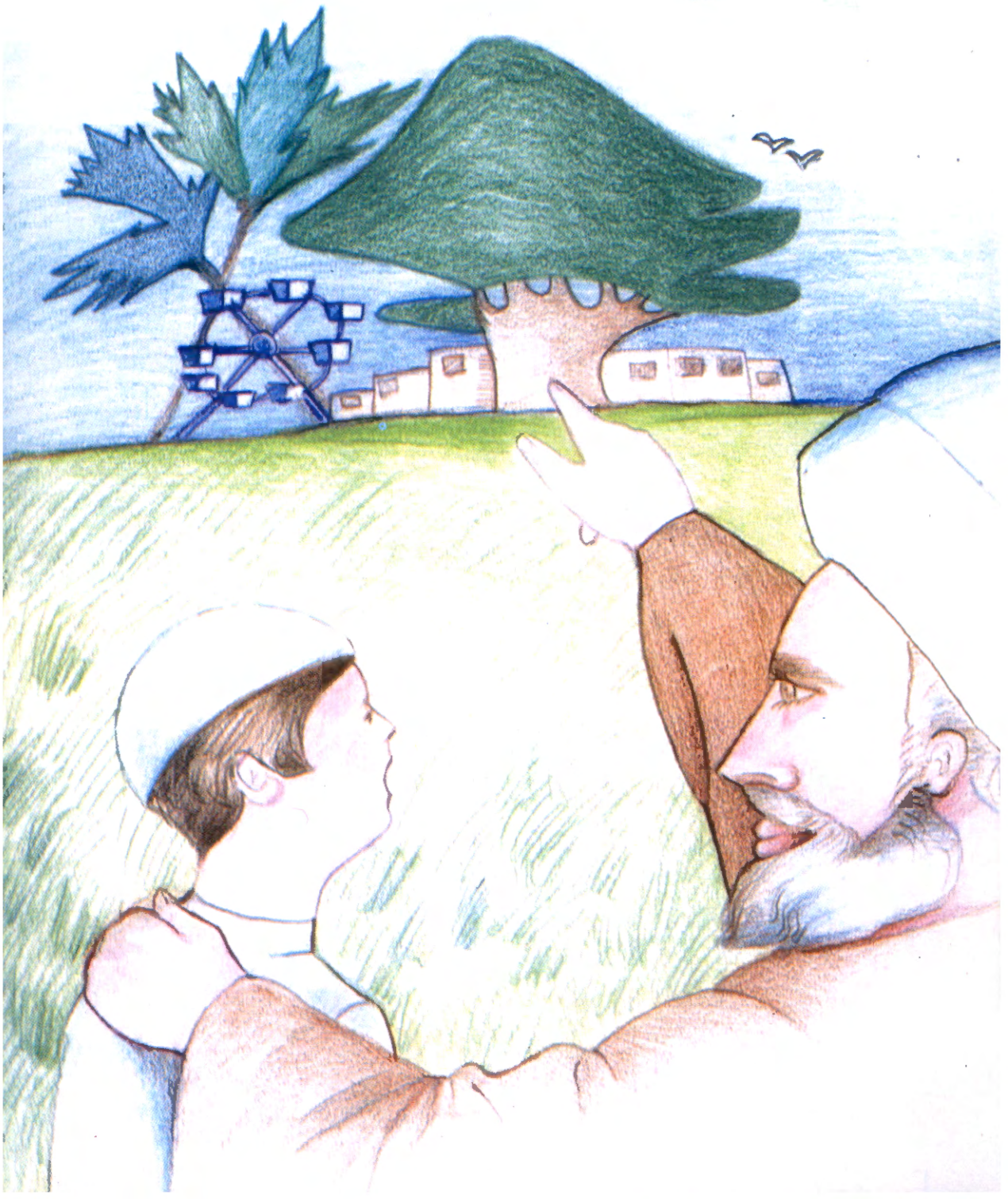

ورحْنَا نتفرجُ عَلى الأرضِ، وتجذِبُ عيونَنَا الخُضرةُ، ونداعِبُ السـنابلَ الخضراءَ، أشارَ أبِى إلَى الشجرةِ الكَبيرةِ الضَّخمةِ وقالَ:

- زَرَعَهَا جدُّك رحِمَه الله.. مَا أجملَ أَنْ تزرعَ شجرًا للعابِرِينَ!!

وَطفرت مَنْ عَيْنى دمعةٌ مِنْ فَرْطِ سَعَادتى...

وكانَ هـذَا أجْملَ عيـدٍ ولا يمكـنُ أَنْ يذهبَ مِنْ ذَاكرتى، حينهَا عرفتُ قيمةَ العِيد.

٢

هذا هو العيد

يومُ العيدِ اجتمعَتِ الأُسرةُ وتبادلُوا التَّهْنِئَةَ بِهِ..

لاحظَتْ إيمانُ أنَّ كلمةَ «عيد» تتردّدُ كثيراً على كلِّ لسَان.. الأبُ يقولُهَا والأُمَ وإخوتهَا الكِبارَ.

الكلُّ يقولُ: جَاءَ العيدُ..

كلمَا طُرِقَ البابُ خرجَتْ إيمَانُ مسرِعَةً كَىْ تفتحَ بنفسِهَا البابَ «للعِيدِ» لكنهَا تَجِدْ أباهَا يَسْتقبِلُ رجُلاً ويتصَافحَان:

- كلُّ سَنَةٍ وأنتَ طَيِّب.
- وأنتَ طيب.
- عيدٌ سَعِيد.

حِينَئِذٍ تعرفُ إيمَان أنَّ هذاَ ليسَ العِيد..

فتظلُّ تنتظِرُ مِنْ جديدٍ.. وَكلَّمَا طُرِق البابُ تجْرِى مسرعَةً.

.. وَأخيراً سألتْ أَبَاهَا:

- أَينَ العيدُ؟؟ لماذَا لَمْ يأتِ ؟!

قالَ أبوهَا سَأخبركِ عندمَا يأتِى يَا إيمان.. وعندَما طُرِق البابُ أسرعَ الأبُ وفتحَ البابَ وَتصافحَ الأَبُ والرجلُ، وأرادَ أنْ يقولَ لإيمَانَ هذَا هُوَ العِيدُ لكنَّ الرجلَ كانَ عابسًا ويبتسِمُ سَرِيعًا.

وَأخيراً سمِعُوا طرقًا خفِيفًا عَلَى البابِ.. فتحَ الأَب.. كانَ الطارقُ شابًّا.. والسُّرور يملأُ وَجْهَهُ وكانتِ الروعَةُ تزيِّنُ جِلْبابهُ الجَدِيدَ.. وَعِطر ينبعِثُ مِنْهُ.

قالَ: السَّلامُ علَيْكُم.. تقَّبلَ الله مِنَّا وَمنكُم.. كلُّ عامٍ وَأنتم بِخَيْرٍ، وَصَافح أَبِى ثُمَّ لمحَ البنتَ إِيمان.. مَدَّ يدهُ بكيسٍ صغيرٍ بهِ بعضَ المُثَلَّجات وَالحَلْوى. ملأَ الفرحُ قلبَ الأَب، ونظَرَ إِلى إيمان وقبلَ أنْ ينطقَ بكلمةٍ واحدَةٍ قالتْ إيمَانُ وَهىَ تُشيرُ نَحْوَ الشَّاب:

بَابَا.. العِيد

قالَ الأب: هذَا الَّذِى كنتُ سَأَقولهُ لَكِ يَا إِيمان.

وَضَحكَ الأَب والشَّابُ.

٣

حتى يشرق العيد

ابتسمَ المهندسُ «عيد» وهو يحْكِى لَنَا قائلاً:

- ولَدتنـــى أُمىِّ مـــعَ أَذانِ فَجْرِ العيدِ، فَسَـــمِعْتُ مـــعَ قُدومى للحياةِ أذانـــيْنْ: أَذَانٌ انبعَثَ منْ جَامِعِ قَرْيتِى، وَآخرٌ رَدَّدهُ أَبِى فِى أُذنى اليمْنَى، ثُمَّ خرجَ أَبِى للصَّلاةِ، وقالَ:

- يافَـــرج اللّه، وَمَاهِـــىَ إلاَّ دَقَائقٌ حَتَّى دخلَ بينَ جُمُـــوعِ المصلِّينَ يردِّدُ: الله أكبرٌ كبيرًا.. وَالحمدُ للهِ كثيرًا، وسبحَانَ اللهِ بكرةً وأَصيلًا.

وَكَانـــت أصواتُ التكبيرَاتِ تتهَادَى إلى مسَـــامع أُمى فِي فِرَاشهَا، فتنظرٌ إِلَى وَجْهِى وتقولُ: يَاوجْهَ اَلسَّـــعْدِ، وتتفرَّسُ مَلاَمحى سَعِيدةَ، وَتَرانى أبتسمُ معَ أصواتِ المصلِّـــين: صدَق وَعْده، ونصَرَ عَبده، وأعزَّ جُنده.. لاَ إله إلاَّ الله ولاَ نعبدُ إلاَّ إيَّاهُ، مُخلصينَ له الدينَ ولوْ كَرِهَ الكَافِرُون...

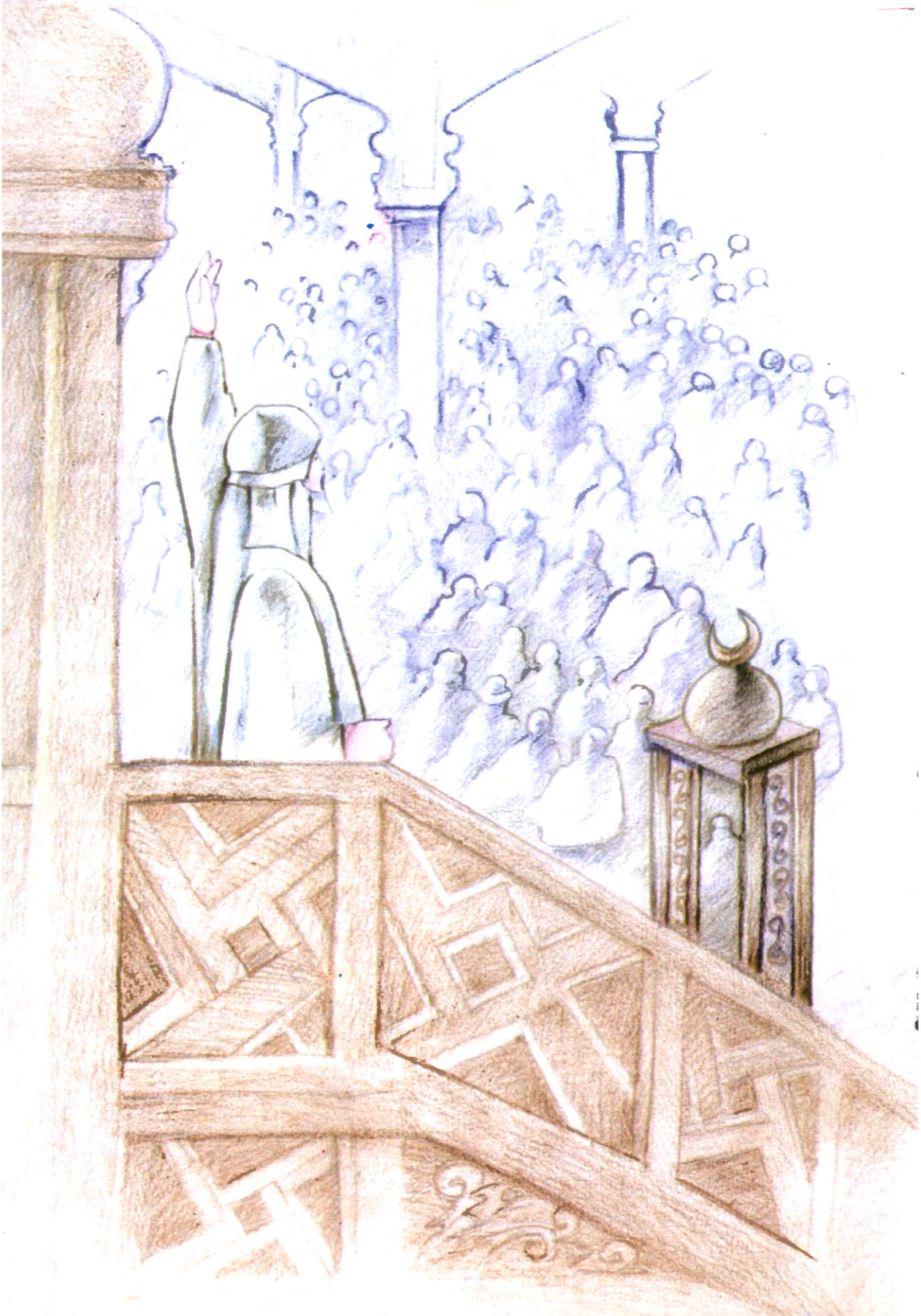

وبعـدَ الصَّلاةِ عادَ أبِى مسـروراً بالعيـدِ، وَظهَرَ السُّـرورُ عَلَى وجْهِهِ، وانبسـطَتْ أسَـارِيرُه، وَهُوَ يقولُ لأمِّ:

- إنَّـهُ عيدٌ ياأُمَّ عِيدٍ.. عيدٌ سـعيدٌ إنْ شـاءَ اللّه ونظرَ حولهُ وقالَ لهَا:

- يَـا أمَّ عيدٍ، رأيتُ انبـلاَجَ الصُّبحِ جنبَ الجَامع، وشُموخَ النخلةِ أول الشَّارعِ، لقدْ غمرنَا العيدُ بِفَيْضِهِ، انظرِى إلى وجْهِهِ الصَّغيرِ، مَا رَأيكِ فِى اسْـمِ عيدٍ، ليسَ عيدًا وَحَسْـب، وَلكنْ نُسـمِّيهِ ((عيد سعيد)) ابتسمَت أُمِّى وَقالتْ:

مَا أصعبَ أنْ يُنادينِى الناسُ يَا أمَّ عيدٍ سعيدٍ كلَّ سـنةٍ وأنتِ طَيبة يَا أُمَّ عيدٍ سعيدٍ.. إنَّهَا صَعْبةٌ.. صَعْبةٌ يَا أبا عيدٍ سعيد.. صَعْبة.. صَعبة يَا أبا عيد ابتسمَ أبِى وقالَ: صَدقتِ هُوَ عِيدٌ، نرجُوه إنْ شَاء الله سَعِيدًا.

وَكبِرْتُ وصِرتُ بِفضْلِ الله مُهندسًـا، وَكلمَا أطلَّ العيدُ علينَا وَجَدتنِى أسـتعيدُ ذلـكَ الموقِفَ الَّذِى

حَكَى لِى أبِى ـ عَنْهُ، وأقولُ فِى فَرحٍ:
لَقَدْ أَصَابت أُمى حِينَ تَحَمَّستْ للبسَاطَة، وَجَعلتنِى عيـدًا، وأسـعدَنِى أبِى حينَ وافقهَـا.. فالعيدُ لَنْ يكـونَ سـعيداً إلاَّ بِنَا.. بجهودنَـا وكفاحِنَا.. وَلَنْ يكونَ العيدُ سـعيدًا إذَا مَا وجدَ مسلمٌ واحدًا يُعانِى الجُوعَ، بينَما ينعمَ آخرونَ بالخيرِ والرَّخَاء.

الأرض

كانَ أَحْمد لاَ يعرفُ أَنَّ هناكَ كُتبًا غيرَ الَّتى يقرأُهَا فِي المدرسَة، كانَ لا يعرفُ أَنَّ هناكَ حِكايَات جَميلةً وقصصاً مُثيرةً تُسعدُ قَارئهَا، وتُحلِّقُ به فِي السَّمَاء، صحيحٌ أَنَّه رَأى بعضَ القصصِ فِي أَيْدِى أَصْدِقَائِه، لكنَّ الخجلَ كانَ يَمْنعهُ أَنْ يطلبهَا لِلْقراءَة، فقطْ كانَ ينظُر للرسُوم عَلَى غلافِ القصةِ ويشعرُ بالحُزن، حُزْنُ مَنْ يَفتقدُ أشياءَ لا يستطيعُ أَبُوه شِرَاءَهَا؛ لأنَّه فقيرٌ، لِذَا لا يطلبُ مِنْ أبيهِ شيئًا يصعبُ عليْه، يكفِى أَنَّ أباهُ يتعَبُ وَيشْقَى فِي الأرضِ؛ حَتَّى يدَّخرَ قروشَهُ الَّتِى يأكلُونَ ببعضِهَا، ويتعلَّمُ هُوَ بالبعضِ الآخرِ، فهوَ لا يطلبُ مِنْ أبيهِ شيئًا، بلْ كانَ يدْعُو لَهُ بالصِّحةِ والبقَاءِ، مُكْتفيًا بنظرَاتٍ سَريعةٍ يُلقيهَا

عَلـى قصصِ زُمَلائِهِ، ونظـراتٍ عميقةٍ يُلقيهَا عَلَى كلِّ شيءٍ فيِ الـكَوْن ـ الشمسُ وهِيَ تشرقُ وتغربُ، الأرضُ وهى مُنْبسطةٌ، الفلاحونَ وهُمْ فيِ طَرِيقهمْ للحقْلِ، وأناشيدُ البناتِ عَلَى شاطئِ الترعَة.

كَمْ أنتِ رائعَة أيتهَا الأرضُ.. حتىَّ الشَّـقاءَ فيكِ رائعٌ..

وَفيِ أحدِ الأيامِ دخلَ مدرسُ الرسمِ إلىَ الفصلِ، الَّذِى يحـبُّهُ كثيراً لأَنَّهُ دائمُ الابتسَـامِ، فِى عينيْهِ خُضـرةُ الأرضِ، وَمِنْ فمهِ يخرجُ الكلامُ عذْباً رَائِعاً، يربـتُ عَلَى ظهورِ التَّلاميذِ، يسْـألهم عَـنْ أحْوالهمْ وأخبَارِهم، ويرسمُ لَهُم أشياءَ جميلةً عَلَى السُّبورَة، طلبَ مدرسُ الرسـمِ مِنَ التلاميذِ أَنْ يرسُمُوا لوحةً لأحدِ الأبطالِ، وقالَ إنه سَـيُعطى هديةً جميلةً لمنْ يرسمُ أحسنَ لوحَة، وراحَ الأولادُ يرسُمُونَ.

وَاحد رسمَ أحمد عُرَابى.

آخر رسمَ مُصطفى كامل.

وواحِد رسمَ عُمرَ المختار.

وَآخرونَ رسمُوا صُوراً لأبطالٍ كثيرينَ قرأُوا عنهم فى التَّاريخ، وأمسكَ أحمد القلَمَ، يَا الله حينَ يمسكُ أحمد بالقلمِ، كلُّ شيْءٍ يبدُو أَمَامه جميلاً صافياً عذباً، ينسـابُ الماءُ فِي القنوَات، وتشرقُ الشمسُ عَلَى قَرْيته «سامول»، ويبدُو كلُّ شيءٍ رائعاً.

- (ارسـمْ يَا أحمد ارسـمْ.. هَذِه فرصتُكَ لإثبَاتِ الذَّات).

وأَطاعَ أحمد يَدَه الَّتِى أخذَتْ تصنعُ خُطوطاً وتجسِّدُ وجْهًا رائعًا صَافيًا أَسْمَرَ كأرضِنَا الطَّيبة، مُشـرِقًا كشمسِـنَا الرَّائعَة، وراحَ يجتهـدُ فِى وضْع مَلاَمِحه عَلَـى الورقـةِ ولَمْ ينسَ أَنْ يرسـمَ التَّجَاعيدَ الَّتِى تُزينُ وجْهَهُ، والشُّـقوقَ الغَائِرةَ فِى يديْهِ وقدميْهِ وقالَ:

- هذَا وجهٌ طَيِّب.

ثُمَّ رسـمَ وَرَاءهُ شَـجرةً ولَوَّنهَـا بالأخْضرِ، وَفِى مُنتصفِ الشَّـجرةِ رسمَ الشمسَ حَمْراءَ وَهِىَ تحاوِلُ النَّفـاذَ إِلَى الأرضِ مِـنْ خـلالِ الفُـروعِ الخضْرَاءِ،

وأحسَّ أحمدُ أَنَّ الأستاذَ يرقُبُهُ ويقترِبُ مِنْه، ويحدِّقُ فِي الرسمِ الَّذِى رَسَمه، حتَّى صارَ بِجوَاره:

- مَنْ هذَا الَّذِى رَسمْتُه يَا أحمد؟

فقــالَ لهُ أحمد وعينَاهُ تدمعَانِ، وفرحٌ يملأُ القلبَ والكَيَانِ، وسعادةٌ لَمْ يشعرْ بِهَا مِنْ زَمَان:

- هذَا أَبِى يَا أُسْتاذ، إِنَّهُ يشقَى ويتعبَ مِنْ أجلنَا.. يسرحُ إِلَى الغَيْطِ معَ شُروقِ الشَّمس.. ويأْتِى إِلَى البيْتِ حينَ تَرُوحُ وَتَذْهبُ للمَغِيب.

سمــعَ الأســتاذُ كلامَ أحمد وهُوَ يتأَمَّلُ الشــقوقَ والتجاعيدَ فِي ذلكَ الوجهِ الطَّيب.. وفرحَ كثيرًا، ثُمَّ أمسكَ باللَّوحةِ ورفعهَا عَاليًا أعلَى مِنْ رأسِ الأستاذِ وأعْلَى مِنْ رُؤُوسِ التَّلاَمِيذ.

وقالَ للتَّلاَمِيذ:

- إِنَّ أحمــد قــدَّمَ لنَا بطلاً جَديــداً.. لَمْ يكتبْ عَنْه التَّاريــخُ.. بطلاً أحسَّ بِهِ أحمد وبــدوْرِهِ الرَّائِعِ فِي الحيَــاة.. إِنَّ فَضْله علينَا جَمِيعًــا وليسَ عَلَى أحمدَ فَقَط.

ثُمَّ أشارَ الأستاذُ إلَى قَميصه وقالَ:

- إنَّ هَذا مِنْ قُطنهِ الَّذِى يَزْرعه.. إنَّه يزرعُ الشجرَ الَّذِى نستظلُّ بِه ويرعَى الأبقارَ الَّتِى تأتِى لَنَا باللَّبن والخيْرِ.. وطلبَ الأستاذُ مِنَ التلاميذِ أنْ يُصفِّقُوا لِأَحْمَدَ إعجَاباً وتقديرًا.

وفرحَ أحمدُ كثيراً وقالَ للأُستاذِ:

- إنَّ أبِى أحقُّ بهذَا التصفِيقِ، ولوْ لمْ أَرسمْهُ لَمَا حَظِيتُ بهذَا التَّصْفيقِ والتقْدِيرِ، هَا هُو فضلكَ يَا أبِى الدَّائم عَلىَّ حَتَّى فِى المدرسَة.

وتسلَّمَ أحمد هَدِيَّته مِنَ الأُسْتاذِ.. لقدْ كَانت قصةٌ عنِ الأرضِ، فرحَ كثيراً لِأَنَّهُ سيَقرأُ كتابًا جَديدًا غيرَ الَّذِى يقرأُه فِى المدرسَةِ، ويقرأُ عَنِ الأرضِ الَّتِى أحبهَا أبُوه وأجدَادُه.

وبعدَ انتهاءِ الدرسِ تجمَّعَ التلاميذُ حَوْله، كلٌّ يُرِيدُ أنْ يشاهدَ القصةَ الَّتِى أهداهَا الأستاذُ، إنَّ قصَّةً يَختارهَا الأستاذُ لابدَّ أنْ تكونَ جَميلةً، ولَمْ يبخلْ أحمد عَلَى زُمَلائِهِ، تركَهُم يتفرَّجُونَ عليهَا، وقالَ لزملائِهِ:

- لأننَا لاَ نَستطيعُ شراءَ كتبٍ كثيرةٍ علينَا أَنْ نتبادلَ الكتبَ بعدَ قِرَاءتهَا.

وقرأ أحمد القصةَ جيدًا.. وَسَعَدَ بهَا كثيراً. وَفِى اليومِ التَّالِي تجمَّعَ التلاميذُ حولَ أحمد، كلٌّ يريدُ أَنْ يقرأَ القصةَ الَّتى أهداهَا لَهُ الأستاذُ، ونظَّمُوا أنفُسَهم وكلَّمَا أَعْطَى أحمدُ القصةَ لأحدٍ أخذَ مِنْهُ الكتابَ الَّذِى يَمْلكه لِقِرَاءته، كلٌّ هذَا ولَمْ يُهْمل الكتبَ المدرسيَّةَ، وعندمَا دارتِ القصةُ عَلَى جَميعِ الزُّملاءِ، كانَ أحمدُ قَدْ قرأ كتبًا كَثِيرةً بكتابٍ وَاحِد.

صانع الحبال

نظَرَ سعدٌ للأرضِ الخضْراءِ الممتَّدةِ أمامَ عينيْهِ وقالَ:

- يا لَسعَةَ الأرضِ وَرَحَابتِهَا.. لكنِّى لا أملكُ فيهَا سهْمًا واحدًا.. الناسُ يملكُونَ الأَراضِى.. وَأَبِى رحلَ ولَمْ يترك لِي أرضًا، وراحَ يقلِّبُ عينيْه فيمَا حَولَهُ أكثرَ وَأكثر:

- وَمَا دامتِ الأرضُ واسعةً والمساحاتُ شَاسِعَةٌ فَلِمَ البَقَاء؟

وهَنا راحَ ينظرُ سَعد للقريةِ:

- لكنهَا قَرْيتى.. ولدتُّ فيهَا.. امتلأَتْ عينَاىَ بكلِّ جميلٍ فيهَا.. هَلْ بِمَقْدورِي أَنْ أرحلَ وأتركهَا؟!

ووجدَ سعدٌ نفسهُ يسرعُ الخُطَى، عَلَيْهِ أَنْ يعودَ إِلَى البَيْتِ، يجزِمُ مَتَاعَهُ ويرحَلُ، وسوْفَ يتركُ البيتَ مُغْلقًا حَتَّى يعودَ، إنْ وجدَ عملًا عادَ وباعَ البيتَ، وانتقلَ حيثُ عملُهُ، وإنْ لَمْ يجدْ عادَ ليسكنَ البيتَ مهمَا كانتِ الأَحْوَال.

جمعَ سعدٌ مَتَاعه وبقَى أَنْ يجزِمَ هذَا المتاعَ، لَمْ يجدْ سعد حَبْلاً يجزِمُ بِهِ هذَا المتاعَ، قالَ سعد:

- فَلأَبحَثْ عندَ الجِيرَان.

دارَ سعد عَلَى الجيرانِ بيتًا بيتًا، مرَّاتٍ لا يجدُ أَىَّ حبالٍ فِى أَىِّ بيتٍ، ومرةً يجدُ حِبَالاً قَصِيرةً لا تكْفِى لتحزيم مَتَاعه، إنَّه فِى حاجةٍ لحبْلٍ، لاَشكَّ أنهَا مُشْكلةٌ بسيطَةٌ لكنَّهُ فِى حَاجةٍ إليْه، عليْه أَنْ يواصِلَ البحثَ عَنْ حبلٍ، أَىُّ حبلٍ يجزِمُ بِهِ هذَا المتاعَ.. وَأَخيراً وصلَ إلى بيتٍ صَغيرٍ، وَعندَ عتبتِهِ كانتْ تجلسُ امرأَةٌ تتدَّفقُ الطِّيبةُ مِنْ وجْهِهَا، يعرِفُهَا سعدٌ جيداً، لاَ تَردُّ سَائِلاً أبداً، وَزوجُهَا رجلٌ طيِّبٌ هُوَ الآخَرُ، يخرجُ مَعَ شروقِ الشمسِ ويعودُ مَعَ غُروبِهَا، ويذهبُ

بَعِيداً ليعملَ أَجِيراً، يعودُ آخرُ النهارِ مُثْقلاً بالتَّعبِ..
ذهبَ مَعَهُ سعد ذاتَ مَرَّةٍ قالَ:

- أُجرِّبُ..

تَعِبَ يومهَا كَثِيراً، عَادَ وقدمَاهُ تتأرجَحَانِ فى الهواءِ، وشعرَ بتعبٍ يغْزُو وجْهَهُ، وظلَّ مَرِيضاً لفترةٍ طويلَةٍ، وَمِنْ يومهَا يسألُ سعدٌ نفسَه: كيفَ يتحمَّلُ هذَا الفلاحُ كُلَّ هذَا التعبِ وهُوَ الشَّابُ لَمْ يَسْتَمر.. هَلْ لأنَّهُ لَمْ يجدْ نفسَهُ فِي الفِلاحَةِ رغمَ حُبِّه للأرضِ والخُضْرة.. سألهَا سعدٌ عنْ حبلٍ فأسْرَعت إلى الدَّاخلِ وأَحْضَرتْ لَهُ حَبْلاً.. يَا للْحظِّ التَّعِس.. كانَ الحبلُ قَصِيراً هُوَ الآخرُ لا يستطيعُ أَنْ يشدَّ مَتَاعهُ جيداً فقالَ لَهَا:

- بكلِّ أَسَفٍ لاَيَنْفَع.

قالتْ لَهُ:

- ومَاذَا ستفْعلُ بِهِ؟

لم يقلْ سعد أنهُ سيهَاجِرُ، سيبحَثُ عنْ عملٍ يُنَاسبهُ بعيدًا عَنْ هذِه القريَةِ.. لأنَّهُ لاَ يتحمَّلُ

العمـــلَ الشَّـــاقَّ فِي الأرضِ ولاَ يســـتطيعُ أَبَداً أَنْ يعملَ بِهَا قالَ لَهَا:

- أَحْتاجُه فِي أمرٍ مَا.

وهنَا طَلبتِ السيدةُ مِنْ سعدٍ أَنْ ينتظرَ لحظةً، وَدَخلتْ وأحضرَتْ بعضًا مِنْ خُيوطِ التِّيلِ وقالتْ له:

- أَلاَ تعرفُ كيفَ تصنعُ حَبْلاً؟

قَالَ سعد:

- لم أجرِّبْ مِنْ قَبْل..

قالتْ لَهُ:

- هَذِه الخيوطُ.. مَا أَسْهلَ أَنْ تصنعَ حَبْلاً بِهَا.

ثُمَّ قَسَّمتِ السيدةُ الخيوطَ إِلَى قِسْمين، وقالتْ لَهُ:

- تَلُفُّ قسْمًا فوقَ آخرَ تَجْدِلُهُ بقوَّةٍ حتَّى تصلَ إِلى أطرافِ التِّيلِ.

وَقَالتْ له:

- عندمَا تُريدُ الحبلَ طويلاً فعليكَ أَنْ تُغذى الأطرافَ بتيلٍ جَيِّدٍ، ثُمَّ أَشَارت إِلَى طفلةٍ صغيرةٍ كَانَت تَمْضِي فِي الشارعِ وَعَلَى ظهرِهَا ضَفِيرتَانِ وقالتْ له:

- انظرْ كيفَ جَدَلَت هَذِه البنتُ الصغيرةُ ضَفِيرَتيْهَا.

نظرَ سعد للضَّفِيرتيْنِ وابتسمَ وقالَ لهَا شكْراً وتركَهَا ومَضَى..

وَفِى البيتِ جلسَ سعد ليجْدِلَ كَمَا علَّمتهُ السيدةُ الطيبةُ، وضعَ طرفًا مِنَ التيلِ تحتَ قدميْهِ وراحَ يَجْدِلُ، كانَ يُفكر فِي كلِ كلمةٍ قالتْهَا.

- أَجْعلُ ناحيةً تلُفُّ فوقَ الأُخرى، وأشدُّ كلَّ مَرَّةٍ بإحكَامٍ.

ولاحظَ سعد أَنَّ مُهِمَّته ستكونُ سهلةً لَوْ أَنَّ أحداً أمسكَ طَرَفَي الخيطِ وسَاعدهُ فى اللَّفِّ، فهذَا يُوَفر الوقتَ والجهدَ، وراحَ يُردد:

- مَا أجمَلَهَا مِنْ حرفةٍ.. إنهَا سهْلةٌ جدًّا..

خيوطُ التِّيلِ تُطَاوِعنى كَمَا لوْ كانتْ صَدِيقتى مِنْ زمنٍ بَعِيد .

وَاستطَاعَ سعدٌ أَنْ يجْدِلَ حبْلاً جميلاً يستطيعُ أَنْ يحزمَ بِهِ مَتَاعَه جيدًا، لكنَّهُ لَمْ ينظُر للمتاعِ ولمْ يلتفِتْ

إليْه، بلْ شَـرَدَ بَعيدًا بعيدًا، إلَى هناكَ حيثُ عيدانِ التِّيلِ اليانعَةِ عَلَى ضفافِ الحُقول، طَالمَا نظرَ إليهَا وطَالما كانَ لايعبأُ بهَا، هَاهِيَ الحبَالُ تُجدلُ مِنْهَا.

أسـرعَ سعد والحبلُ فِي يدِه، وذهبَ إلى السيدةِ الطَّيبةِ وقالَ لهَا:

- مَا رأْيكِ؟

قالتِ السيدةُ الطَّيبةُ بفرحٍ:

- رَائعٌ.. واللَّهِ كأنكَ صانعٌ الحبالِ.

أثارتْهُ كلمةُ «صَانع الحبالِ» فقالَ لَهَا:

- أفِي قريتنَا صانعُ حبالٍ؟

قالتْ لَهُ:

- لاَ

- لماذَا؟

قالتْ:

- ومَنِ الذِى لديْهِ وقتٌ كَىْ يتفرغَ لصنْعِ الحبَال؟! والناسُ إمَّا يزرعونَ أَوْ يحصدُونَ.. أو يعملُونَ فِي أرضِ الغـيْرِ، والناسُ يصنعـونَ الحبالَ فِي وقتِ

الراحـةِ، ويغلبهُم النومُ وهُـمْ يَجْدِلُونَ، وفِي أيامِ الحَصادِ يظلُّونَ يجدلُونَ.

- ومـاذَا لَوْ أنَّ أحداً جهَّز لَهُم حِبَالَهم.. أليسَ فِي ذلكَ مَا يسرُّهُم؟

قالتِ السيدةُ الطَّيبةُ:

- يالهَا مِنْ فكرةٍ رائعةٍ ومدهشَةٍ.. لكنْ مَنْ يكونُ ذلكَ الَّذِى سَيُجهزُ لَهُم الحبَال؟!

قالَ سعد:- أنَا..

قالتِ السيدةُ: - أنتَ؟

قَال سـعد: - نَعَم ومَعِى عَمِّى .. زوجكِ الطيبِ.. ليتَهُ يُوَافق...

- زَوجِى؟

- نَعَم يَا خَالتِي لقدْ كَبُر ولم تعدْ قدمَاهُ تَسْتطيعَانِ حَمْلَهُ إِلَى عملهِ البعيدِ، والأفضلُ أَنْ يعملَ مَعِى.

قالتْ:

- سأعرضُ عليهِ الفكرةَ حينَ يَعُود.

قالَ الرجلُ الطيبُ:

- فكرةٌ رائعةٌ وموعدُ الحصَادِ قَريب.

وبدأ سعد والرجلُ يجمعَانِ منَ الحقولِ عيدانَ التّيلِ، قامَا بشرائِهَا، دفعَا مَا يقدرَانِ عَلَى دفْعِهِ، وتبقَّى مَا تبقَّى حتَّى تُثَبَّتَ أقدامُهُمَا، وقامَا معًا بتقْسيمِ عيدانِ التيلِ إِلَى حُزَمٍ كثيرةٍ وتَمَّ تحزيمهَا جيداً، وقامَا بوضعهَا فِي مجْرى للماءِ السَّاكنِ، ويبقَى التيلُ لأيامٍ مغْموراً فى الماءِ.. عمليَّةٌ طَهْى عَجِيبةٍ تنتَهِى بِأَنْ تنفصلَ الخيوطُ المستويَةُ عنِ العيدَانِ، وبعدهَا يقومانِ بإخْراج حزَمِ التيلِ، وتجفيفهَا ونزْعِ القشْرةِ عنْ كلِّ عودٍ، ثُمَّ يبدأُ سعد والرجلُ الطيبُ يجدلاَنِ طوالَ النهَارِ وأحيانًا باللَّيلِ حتَّى يتبيَّنَ لهمَا الخَيْطُ الأبيضُ مِنَ الخيطِ الأسودِ مِنَ الفجرِ، ويمتدُّ الحبلُ وَيمتَدُّ، وتمتدُّ الحكاياتُ تِلْوَ الحكايَاتِ وحبالٌ كثيرةٌ تُصنع، قَصِيرةٌ وَطَوِيلَةٌ.. أيضاً سَمِيكَةٌ ورَفِيعةٌ ، تستعملُ كمِقْودَ للحيوانِ وللعربةِ النَّاقلةِ للحَصَاد ..وللسَّاقيةِ حِينَ تَدُور.. ولم ينسَ سعد والرجلُ أَنْ يصنعَا حبالاً متِينةً.

لِأراجيحِ الأطفالِ وللمراكبِ وللخيامِ، وتوافدَ الناسُ عليهمَا.. وَذاعت شُهرتُهُمَا فِى القُرى المجَاورةِ فأسرعَ الجميعُ إليهمَا.. وتطوَّرَ أداؤُهما وصارَا يصنَعانِ الحبَالَ مِنْ كلِّ شكلٍ ونوعٍ.. منَ التيلِ والكتَّانِ واسْتخدمُوا فِى ذلكَ أَلْيَافاً جديدةً، وظَّلت الأمانةُ شِعَارهمَا والإخلاصُ دَأْبهما؛ فاتسعَ مَشْروعُهما وفاضَ خيرًا كثيرًا.

وذاتَ يومٍ قريبٍ وقفَ سعد يتأَمَّلُ أرضَ القريةِ سعيدًا بِرَوْعتهَا.. سعيداً بِأَنَّه لَمْ يُفَارقْهَا، وكانَ ينشرحُ صَدْرُه وخُضرة العيدانِ تملأُ عينيْهِ ويشعرُ بِالامتنانِ لتلكَ السَّيدةُ الطَّيبةُ الَّتِى صَنَعت لَهُ أَوَّلَ الحِبَال.